قطر الندى

العدد السابع عشر | 2010

Qatr an Nada (Dew Drops) the newsletter
of the ECCD program/ARC, ***Issue 17 / 2010***

الحماية في الطفولة المبكرة

المفاهيم الأساسية، والبرامج المتعددة، والنصائح، والأدوار

قطر الندى

قطر الندى ١٧

من المؤسف أن يكون بعض البلدان العربية في مقدم البلدان التي تشهد معدلات عالية من استخدام العقاب البدني ضد الأطفال. يضاف إلى ذلك نسب مئوية من أشكال الاعتداءات النفسية – الاجتماعية على أطفالنا تنذر بأسوأ العواقب. ولا شك في أن انتهاكات الحق الجوهري في الحماية لا تقتصر على الأطفال الصغار الذين يفتقرون إلى القدرة الكافية للتعبير وحماية أنفسهم، بل هو بالأحرى نتيجة انتشار أشكال من انتهاك سلامة وأمن وصحة واستقرار ومعيشة الكبار والأسر والمجتمعات عموماً. لذا يجب ألا تنفصل جهود تعميم المعرفة عن دور الحماية بمفاهيمها الحديثة، الاجتماعية والصحية والنفسية، عن شروط الحماية للكبار والمجتمعات ككل.

إلا أن حماية الصغار منذ الحمل (وحتى قبْل ذلك) باتت أولوية ليس من أجل كل طفل/ة في حد ذاته/ها فحسب بل من أجل ترسيخ المفاهيم والممارسات الواعية النابذة لمصادر المخاطر والانتهاكات – كالعنف والإهمال والقهر والظلم الاجتماعي وضعف المعرفة– عند الأطفال والراعين والمحيطين بهم على حدٍّ سواء. لذا، يجب أن نبكر في بناء المعرفة الواعية والمعايير والنماذج البديلة في السنوات الأولى وأن تتعزز مكانة الحق في الحماية أضعاف ما هي عليه اليوم. وطموح هذا العدد أن يكون خطوة متواضعة في هذا الاتجاه.

فريق التحرير

رئيس التحرير: **غانم بيبي**

سكرتير التحرير: **مي أبو عجرم**

مراجعة لغوية: **محمد حمدان**

تصميم و تنفيذ: **WARM** Studios

قطر الندى :تصدر عن ورشة الموارد العربية بدعم من مؤسسة "برنارد فان لير"
العنوان:
ARC, P.O.Box: 27380 Nicosia 1644–Cyprus
يمكن تنزيل هذا العدد عن الموقع: www.mawared.org

إن الأفكار الواردة في هذه النشرة تعبِّر عن آراء كتابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء "ورشة الموارد العربية" أو مؤسسة"برنارد فان لير". قطر الندى تدعو جميع القراء إلى المساهمة فيها وترحب بكل الأخبار والأنشطة والمقالات والتقارير والملاحظات.

ورشة الموارد العربية مؤسسة عربية مستقلة ذات منفعة عامة، لا تتوخى الربح التجاري، هدفها إعداد ونشر وتوزيع الكتب والمواد في حقول الرعاية الصحية والتربوية وتنمية المجتمع.

للمراسلات:
ورشة الموارد العربية،
ص . ب ٥٩١٦ –١٣ (شوران)
بيروت – لبنان
arcleb@mawared.org
الهاتف ٧٤٢٠٧٥-١(٩٦١+)
الفاكس ٧٤٢٠٧٧-١(٩٦١+)

٤ **إضاءات**

٦ ستة أسئلة وثمانية عناصر أساسية:
حماية الطفل بين التشريعات الدولية والواقع!
إعداد رانية الساحلي

٩ نصائح إلى الأهل والمربين والمدرسة:
حماية الأطفال من المخاطر مسؤوليتنا جميعاً
زينة حبيش

١٢ أمثلة على المخاطر والأهداف والبرامج
أهمية الحماية في السنوات الأولى

١٤ حماية الأطفال من تأثير الحروب والنزاعات
أهداف وتقنيات التربية الداعمة
ريتا مفرج مرهج

١٨ الحماية في المدرسة
مدرستي مدرسة السلامة
أمل التنير

١٩ **موارد**

***Qatr an Nada*, a newsletter supporting NGOs and parties concerned with early childhood in the Arab region. Published by ARC: *Arab Resource Collective* as part of a regional programon "EarlyChildhoodCareandDevelopment" supported by the Bernard van Leer Foundation.**

ARC, P.O.Box: 27380, Nicosia 1644, Cyprus.
Tel. (+357) 22766741,

ARC, P.O.Box: 13-5916, Beirut – Lebanon.
Tel. (+9611) 742075,

For information and subscription:
E-mail**: arcleb@mawared.org**

For full Arabic & short English editions:
www.mawared.org

مؤتمر دمشق يتبنى النهج الشمولي والمرتكزات الأربعة ويدعو إلى قمة خاصة!

دعا "إعلان دمشق لرعاية وتربية الطفولة المبكرة" إلى "اعتماد بند دائم حول قضايا الطفولة على جدول أعمال القمة العربية"، وإلى تخصيص قمة عربية لتدارس واقع الطفولة في الوطن العربي.

صدر الإعلان في ختام أعمال المؤتمر العربي الإقليمي حول السياسات والبرامج في الطفولة المبكرة، دمشق ٢٠-٢٠١٠/٩/٢٢. نظم المؤتمر المكتب الإقليمي لليونيسكو في بيروت واستضافته وزارة التربية والتعليم السورية، وشارك فيه عدد من البلدان العربية والهيئات الإقليمية والمحلية والدولية والخبراء. جاء المؤتمر غداة ورشة عمل إقليمية نظمتها ورشة الموارد العربية في عمّان، ٢٢-٢٠١٠/٣/٢٥ (انظر "قطر الندى" العدد ١٦) وعشية المؤتمر الدولي حول الطفولة المبكرة الذي عُقد في موسكو في أيلول/ سبتمبر الماضي.

تميّز المؤتمر الرسمي - مع مشاركة أهلية - بتبني النهج الشمولي التكاملي و"المرتكزات الأربعة" في التخطيط والبرمجة، والتركيز على الفئات الاجتماعية المحرومة ما يبشّر - إذا ما وُجدت متابعة متسقة - بآفاق واعدة في النظر إلى أهمية الطفولة المبكرة وفرص التشبيك الملتزم وترشيد القدرات. وتطرق "إعلان دمشق" أيضاً إلى "٩ تحديات أساسية مصيرية" يواجهها "النهوض بواقع الطفولة المبكرة في المنطقة العربية" ومنها: اقتصار مفهوم الطفولة المبكرة على التعليم قبل المدرسي، والافتقار إلى المنظور الشمولي التكاملي، وتدني نسب الالتحاق برياض الأطفال، وعدم كفاية البيانات والأطر التربوية المؤهلة والخدمات الرسمية.

وقال الإعلان إن علينا أن "...نعتمد مفهوماً شمولياً لرعاية وتربية الطفولة المبكرة يشمل فترة النماء الإنساني من بداية العمر وحتى السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية..." لأن "رعاية وتربية الطفولة المبكرة هي أفضل مرحلة مساعدة لتأمين التوزيع العادل لفرص التعليم والنمو"، ولأن "التوظيف في الرعاية والتربية في الأعوام الأولى مركزي الفعل في تنمية قدرات كل طفل وضمان نماء إنساني عادل وإنتاج عائدات وفيرة للثروة الوطنية". وأضاف أن علينا "وضع رعاية وتربية الطفولة المبكرة في صلب أولويات مقارباتنا للتنمية كما يجب أن نرفع منزلة الطفولة المبكرة وتجلياتها في استراتيجياتنا الوطنية وأن نرفع بدرجات مستوى المخصصات في الموارد البشرية والمادية المعتمدة حالياً لرعاية وتربية الطفولة المبكرة".

المرتكزات: واعتمد المؤتمر "المرتكزات الأربعة التالية كأساس لبناء إطار عمل وطني في الطفولة المبكرة:

١- (من الولادة إلى ثلاث سنوات)...تنسيق وتحسين الخدمات حيث تصل إلى كل الأطفال الصغار وأسرهم...مع التركيز على الأطفال والأسر الأكثر عرضة للإهمال والأذى".

٢- (من ثلاث إلى ست سنوات): ضمان مشاركة الطفل مدة سنتين على الأقل في نشاطات منتظمة...قبل الدخول إلى المدرسة ...وتأمين المعرفة والدعم للأسرة ومن يعتني بالطفل...وإعطاء الأولوية للأطفال المهمشين والأكثر عرضة للإهمال".

٣- (من ست إلى ثماني سنوات): تأمين بيئة مدرسية تقدر الطفل...مهيأة لدمج كل الأطفال وتيسر الانتقال من بيئة الأسرة إلى المدرسة...وأن يتضمن إعداد وتدريب المعلمين معارف ومهارات تتصل بالحاجات التربوية والصحية والنفسية للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة.

٤- سياسات وخطط عمل وطنية للطفولة: تطوير "سياسات متكاملة وواضحة لتنمية الطفولة المبكرة قابلة للتطبيق والتقييم ضمن رؤية استراتيجية... وميزانيات مدعومة..." وتخصيص "الموارد المناسبة والتنسيق...".

رحب بيان المؤتمر "بمبادرة مكتب اليونيسكو الإقليمي بتشكيل مجموعة عمل عربية حول الطفولة المبكرة" وصدر عنه أكثر من ٢٠ توصية في مجالات السياسة والاستراتيجيات والنوعية والجودة والوصول إلى الأطفال المحرومين والمهمشين وبرامج الانتقال من البيت أو الروضة إلى المدرسة وتقييم المعرفة والموارد ورفع مكانة العاملات والعاملين في حقل الرعاية والتربية في الطفولة المبكرة. شملت التوصيات:

- دعوة الحكومات لتطوير استراتيجيات وسياسات وآليات تنفيذية لرعاية وتربية الطفولة المبكرة من صفر إلى ٨ سنوات وتضمينها في كل السياسات الوطنية التنموية...
- وضع آليات تنسيق بين القطاعات (صحة/ تربية/ حماية اجتماعية...) لضمان التكامل سواء بالميزانيات أو بالبرامج وإيجاد أو تفعيل هياكل للمتابعة والرصد والتنسيق.
- العمل على تطوير قاعدة بيانات تفصيلية موحدة...
- وضع معايير قابلة للقياس...وخلق مراكز للقياس والتقويم... وربط تلك المراكز بعدد من الجامعات العربية المتخصصة.
- مراجعة القوانين والتشريعات والسياسات واستراتيجيات العمل واللوائح المنظمة لبرنامج الطفولة المبكرة لضمان تفعيلها للوصول إلى الفئات المحرومة وجعل البرامج القائمة أكثر ترحيباً ودمجاً لتلك الفئات.
- استحداث آليات الوصول إلى الفئات المحرومة من التعليم من خلال البرامج المكملة والبديلة (مثل التوعية والوالدية، وبرامج الأسرة والطفل، والخدمات الجوالة، والبرامج الإعلامية).
- تطوير آليات لرصد ومتابعة الفئات المحرومة... مع بيان

مدى التقدم المحرز في التقارير الدورية، واستخدام المؤشرات من أجل التقارير الوطنية الرسمية والموازية حول اتفاقية حقوق الطفل.

- عقد مؤتمر إقليمي خاص حول قضايا الفئات المحرومة في برامج الطفولة المبكرة.
- استخدام المعرفة العلمية الحديثة في مجال الكشف المبكر...
- وضع بدائل مختلفة تضمن الانتقال السلس لجميع الأطفال من البيت إلى المدرسة...من خلال بناء قدرات المعلمين والإدارة المدرسية... ومناهج مبنية على التعلم النشط والإدماجي... وإدخال برامج الصحة كمكون أساسي وتوعية الأسرة عليها... والقيام بالتعديلات والتحضيرات اللازمة لانتقال الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة إلى المدرسة...
- العمل على إجراء دراسات لواقع الطفل العربي من ناحية مدى استعداده وجهوزيته لدخول المدرسة...

مشاركة "الورشة": يُذكر أن ورشة الموارد العربية شاركت في المؤتمر في مراحله التحضيرية والتنفيذية وذلك في إطار التنسيق مع مكتب اليونيسكو الذي بدأ في اجتماع عمّان المذكور أعلاه وشمل مؤتمري دمشق وموسكو. فقد أعدت "الورشة" بناءً على طلب من اليونيسكو ملفاً في كتاب وزع على المشاركين وضم عروضاً عن ٢٩ مشروعاً مبتكراً في مجال تربية وتنمية الطفولة المبكرة (انظر العرض في موارد هذا العدد ص ١٩). المشاريع توزعت على ١٠ من أفريقيا وآسيا وأوروبا و١٩ من بلدان عربية مختلفة. وقدم ممثل "الورشة" غانم بيبي محتويات الكتاب ومبررات إنشائه إلى جانب عرض عن واقع الموارد المعرفية في حقل الطفولة العربية المبكرة. مستشار "الورشة" ورئيس "المجموعة الاستشارية" العالمية يوسف حجار تكلم عن أهمية المناداة في الطفولة المبكرة وأدى دور مقرر المؤتمر وقدم إعلان دمشق وتوصياته إلى المؤتمرين. إلى ذلك، ساهم عدد من شركاء الورشة والعاملين معها في مجال التدريب عدداً من العروض العلمية الأخرى. للمزيد عن الإعلان ومؤتمر موسكو: www.unesco.org/new/ar/education

بدء تطبيق مشروع تعليم الأم والطفل

بدأت ورشة الموارد العربية تطبيق المرحلة الأولى من برنامج "تعليم الأم والطفل" بعد فترة من الإعداد والتدريب وتجهيز الموارد. دورات التدريب الأولى تركز على لبنان، وتتوزع على خمس مؤسسات تعمل بين بيروت وصيدا: جمعية إنعاش المخيم الفلسطيني (برج البراجنة)، وجمعية البرامج النسائية والأونروا (برج البراجنة)، ومؤسسة غسان كنفاني الثقافية (مار الياس) وجمعية المساعدات الشعبية للإغاثة والتنمية (صبرا) وجمعية "أهلنا" في صيدا. اختارت كل جمعية ٢٠ – ٢٥ أماً لأطفال في أعوامهم الأولى للمشاركة في دورات تستمر ٢٤ أسبوعاً. تتدرب الأمهات في المراكز ثم يستخدمن مواد العمل مع أطفالهن والقصص في البيت.

يقوم البرنامج على أسس طورتها جمعية الأم والطفل في تركيا، ثم انتشر تطبيقها في بلدان مختلفة، منها البحرين والسعودية والأردن. المواد العربية ترجمَتها وكيفتها ورشة الموارد العربية، وتقود التدريب مجموعة من الخبيرات اللواتي يعملن مع "الورشة" وقد تدربن على أيدي فريق من الجمعية التركية.

يذكر أن البرنامج يضم مشروعاً للعمل مع الآباء، كذلك سيطبق في مراحل تالية. ويتوقع أن يؤدي المشروع الراهن إلى تمكن الأطفال من استعداد للمدرسة وأداء أكاديمي أفضل وتراجع في التسرب والرسوب وتنمية علاقات اجتماعية إيجابية. وتتمكن الأمهات المشاركات، في العادة، من تطوير علاقات أسرية واستخدام أساليب ضبط أفضل وزيادة في الثقة بالنفس وتطوراً مهنياً ومعيشياً. وتنعكس نتائج المشروع على المجتمع المحلي ككل في شكل فرص تعلم أحسن ومشاركة أوسع في الأنشطة والجهود التنموية. للمزيد، أنظر "قطر الندى"، العدد ١٦، ص ٣٠.

دورة القادة الدوليين

شهد مركز "ريجيو إيميليا" الإيطالي المعروف في عالم تطوير المعرفة والتطبيقات في التربية المبكرة اختتام الدورة الراهنة في أعمال برنامج "القادة الدوليين لصغار الأطفال". أطلق البرنامج مؤسسة المنتدى العالمي بغرض تحسين فرص صغار الأطفال الحياتية من خلال تنمية مهارات وقدرات أشخاص فاعلين في تنمية الطفولة المبكرة. بذلك تكون ورشة الموارد العربية قد يسّرت مشاركة ٤ من صاحبات الخبرة من المنطقة العربية، أتيح لهن العمل على المناداة والتشبيك وتشارك المعرفة والخبرات المحلية مع عشرات غيرهن من بلدان العالم المختلفة.

في الدورة الختامية أسهم يوسف حجار ومي أبو عجرم من "الورشة" سواء في تدريب المشاركين أو في التدريب. يحاول القائمون على البرنامج إدامته لتعزيز ونشر أهدافه التي تركز فهم أفضل للمسائل المشتركة عالمياً، وتحليل السياسات الوطنية وتطبيقها، و"قيادة" الجهود وجمع الدعم وتبادل الأفكار مع جماعات المهنيين في أركان العالم.

ستة أسئلة وثمانية عناصر أساسية:

حماية الطفل بين التشريعات الدولية والواقع!

إعداد رانية الساحلي*

انتهاك حق الطفل في الحماية ظاهرةٌ تحدث في كل بلد وعلى صعيد واسع. وهي ما زالت تمر دون المستوى المطلوب من الانتباه لها والإبلاغ عنها، وتشكل حاجزاً يمنع نجاة الأطفال وتطورهم، فضلاً عن كونها تشكل انتهاكاً صريحة لحقوق الإنسان. فالأطفال المعرّضون للعنف والاستغلال وإساءة المعاملة والإهمال هم الأكثر عرضةً لخطر الموت، وسوء الصحة الجسدية والنفسية، وعدوى فيروس نقص المناعة البشرية المكتسبة/الإيدز، والمشاكل التعليمية، وغياب المأوى والتشرد والتسكع، فضلاً عن افتقادهم المهارات اللازمة لتنشئة أطفالهم في مراحل لاحقة من حياتهم.

١- ما المقصود بحماية الطفل؟

تُستخدم عبارة "حماية الطفل" من قبل المؤسسات التي تعنى بالطفولة، للإشارة إلى منع العنف ضد الأطفال وضد استغلالهم وإهمالهم والإساءة إليهم، بما في ذلك الاستغلال الجنسي والمتاجرة بالأطفال، وتشغيلهم، وحجزهم، وتعريضهم لممارسات ضارّة كختان الإناث وزواج الأطفال.

وفيما تركّز برامج كثيرة (كبرامج جمعيات "غوث الأطفال"، مثلاً) على من هم أكثر عرضة للعنف والاستغلال، فهي تستهدف أمان كافّة الأطفال ورفاههم. وهناك برامج أخرى للحماية (كبرامج اليونيسيف) تستهدف الأطفال المعرّضين للإساءات كما يحدث للأطفال المحرومين من الرعاية الأبوية، والأطفال المصنفين بأنهم في نزاع مع القانون، أو أولئك الذين يعيشون في بيئة من النزاعات المسلحة.

من جهة أخرى، يناط باللجنة الدولية للصليب الأحمر السهر على احترام الحقوق الأساسية للأشخاص المدنيين الذين لا يشاركون في الأعمال العدائية ويتأثرون بحالات العنف. إذ فضلاً عن الحماية العامة المكفولة للأطفال بوصفهم مدنيين، فإنّهم يتمتعون بحماية خاصة تكفلها أحكام محدّدة في القانون الدولي الإنساني تأخذ في الاعتبار قابليتهم الخاصة للتعرض للأخطار. وتشمل الحماية الخاصة الحماية من الآثار العدائية وتوفير المساعدة والعناية وحماية الأحوال الشخصيّة وحفظ الصلات الأسريّة والجماعيّة (الهوية ولم الشمل والتسجيل)، والحفاظ على البيئة الثقافية وضمان التعليم. ويتعين على أطراف النزاع أن تكفل لجميع الأطفال، بمن في ذلك المحتجزون منهم، ما يحتاجون إليه من عناية وتعليم.

٢- كيف تطور مفهوم الحماية؟

تستند حماية السكان المدنيين في زمن النزاع إلى مبدأ أساسي في القانون الدولي الإنساني. إذ لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يكون المدنيون الذين لا يشاركون في الأعمال العدائية محلاً للهجوم، وتتعين وقايتهم وحمايتهم. وتشمل اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والبروتوكولان الإضافيان لعام ١٩٧٧ قواعد دقيقة تتعلق بحماية المدنيين. ويحظى الأطفال أيضاً بحماية القانون الدولي الإنساني كونهم أشخاصاً بالغي التعرّض للخطر. والواقع أن أكثر من ٢٥ مادّة في اتفاقيات جنيف الأربع والبروتوكولين الإضافيين تُعنى بالأطفال تحديداً.

- وضعت اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩ معايير ينبغي إعمالها من أجل تطور ونماء الأطفال إلى أقصى حد، وتخليصهم من العنف والجوع والإهمال وسوء المعاملة. وتعكس الاتفاقية رؤية جديدة للطفل تتمثل في اعتباره فرداً مستقلاً ينتمي إلى أسرة ومجتمع، يتمتع بحقوق وعليه واجبات تتلاءم مع سنه ومرحلة نمائه. ومن خلال هذا المنظور شددت الاتفاقية على أهمية التركيز على الطفل ككل.
- ساهمت الاتفاقية وقيام كل البلدان تقريباً بالتصديق عليها (بما في ذلك جميع البلدان العربية باستثناء الصومال)، في تعزيز الاعتراف بالكرامة الإنسانية الأساسية لجميع الأطفال وأكدت على ضرورة ضمان رفاهيتهم ونمائهم. وتنصّ الاتفاقية بوضوح على مبدأ تمتّع جميع الأطفال بنوعية جيدة من المعيشة كحقّ لهم وليس كامتياز يتمتع به قلة منهم.
- ثم عاد زعماء العالم وتعهدوا بتلبية حقوق الطفل في البقاء على قيد الحياة والحصول على الرعاية الصحية والتعليم والحماية والمشاركة وأمور أخرى خلال قمة الألفية التي عقدت في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠ والتي انبثق عنها إعلان الألفية وأهدافها الإنمائية. وقد تمّ التأكيد مجدّداً على إعلان الألفية والأهداف الإنمائية للألفية في مؤتمر قمة العالم عام ٢٠٠٥. وانطلاقاً من الحقوق الأساسيّة للإنسان، وفّر الإعلان وأهدافه إطار عمل متكاملاً لنظام الأمم المتحدة من أجل تحرك مترابط نحو سلسلة من الأهداف القوية الخاصة بالتنمية البشرية.

* مستشارة في التنمية التربوية والمجتمعية

المساعدة على ضمان سلامة
الأطفال هي أهم مسؤولياتنا

إعلان الألفية

من خلال تبني إعلان الألفية فإن بلدان العالم قد صمّمت على:

- ✓ العمل الجاد للحماية الكاملة ومناصرة الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والثقافية للجميع.
- ✓ محاربة كافة أشكال العنف ضد المرأة وتنفيذ الاتفاقية الخاصة بالقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة.
- ✓ تشجيع المصادقة على اتفاقية حقوق الطفل والتنفيذ الكامل لها ولبروتوكولاتها الاختيارية الخاصة باشتراك الأطفال في النزاعات المسلحة، وبيع الأطفال، ودعارة الأطفال، واستغلالهم في المواد الإباحيّة.

- البروتوكول الاختياري الخاص باتفاقية حقوق الطفل وانخراط الأطفال في النزاعات المسلحة (٢٠٠٠) يرفع الحد الأدنى لعمر المشتركين في النزاعات من ١٥ سنة إلى ١٨ سنة (المادة ١). ويمنع التطوع أو التجنيد الإجباري دون سن الـ١٨ (المادة ٢). ويعتبر قانون المحكمة الجنائية الدولية (١٩٩٨) أنّ تجنيد الأطفال أو تطوعهم دون سن الـ١٥ في قوات مسلحة وطنية أو استعمالهم للمشاركة الفاعلة في الأعمال العدائية الدولية أو الداخلية المسلحة هو جريمة من جرائم الحرب. وتعرّف اتفاقية منظمة العمل الدولية رقم ١٨٢ (١٩٩٩) التجنيد القسري والإجباري للأطفال على أنّه أسوأ أشكال عمالة الأطفال.

٣- أين الواقع من الالتزامات؟

على الرغم من وجود هذه الحقوق، يعاني الأطفال الفقر والتشرد وسوء المعاملة والإهمال والأمراض التي يمكن الوقاية منها، ومن عدم المساواة في توفير فرص التعليم، ونظم قضائية جنائية لا تعترف باحتياجاتهم الخاصة. وهذه مشاكل تواجه كلاً من البلدان الصناعية والبلدان النامية على حد سواء. ولا يخفف من ذلك التصديق شبه العالمي على المعاهدة والالتزام الكوني الفريد باتفاقية حقوق الطفل. فالحكومات بمصادقتها على الاتفاقية تقرّ بنيّتها ترجمة هذه الالتزامات إلى أفعال. وتلزم الاتفاقية الدول الأطراف بتطوير ووضع القوانين والبرامج السياسية من أجل التنفيذ الكلي للاتفاقية، وينبغي عليها تنفيذ جميع إجراءاتها على ضوء المصلحة الفضلى للطفل.

ولا تقتصر هذه المهمة على الحكومات فقط بل يجب أن يضطلع بها جميع أفراد المجتمع. ومن أجل ترجمة المعايير والمبادئ التي تضمنتها الاتفاقية إلى واقع يتعين على الجميع التحرّك: في الأُسر وفي المدارس وفي مؤسسات أخرى معنية بتوفير الخدمات للأطفال والمجتمعات وفي كافة المستويات الإدارية. أما الواقع فما زال يرسم صورة مختلفة تماماً. ويقدم تقرير "التقدم من أجل الأطفال" بيانات جمعت حتى الآن لتأسيس قضية ملحة لوضع برامج توفر حماية أفضل في البلدان التي يتعرض فيها ملايين الأطفال للإتجار، والذين يعيشون من دون رعاية أبوية، أو لا تتوفر لديهم الوثائق اللازمة للالتحاق بالمدرسة والحصول على الرعاية الصحية الأساسية. ويُرغم ملايين الفتيان والفتيات على العمل في ظروف سيئة وضارة. ولا يزال عدد أكبر من الأطفال يواجه العنف أو الاعتداء عليهم في منازلهم ومدارسهم ومجتمعاتهم المحلية، وفي المؤسسات أو أثناء الاحتجاز.

الإستثمار الأجدى!

إنّ عدد الأطفال المحتجزين في العالم، بحسب موقعي اليونيسيف و"أطفال خلف القضبان"، يزيد عن مليون طفل. ولا يشكّل هذا الموضوع أولوية على جداول الأعمال السياسية والاجتماعية العالمية، لذا لا معلومات دقيقة حول أعدادهم أو ظروف احتجازهم أو حتّى أسباب "اعتقالهم" (التي يمكن أن تكون شرب الكحول أو التسرب المدرسي أو التسوّل!).

من هنا يتساءل باحثون في جمعية "الدفاع عن الأطفال" العالمية: ألا يصبح الاستثمار في تطبيق اتفاقية حقوق الطفل وفي حماية الأطفال أجدى من أجل تطوير المجتمع ككل وتنميته وجعله أكثر أماناً؟

>>

٤- ما هي عناصر إنشاء بيئة حامية للأطفال؟

إنّ إيجاد بيئة حامية للأطفال تساعد على منع العنف وإساءة المعاملة والاستغلال يتطلّب العمل على العناصر الثمانية التالية، كما صنّفتها اليونيسيف في "دليل حماية الطفل"، ٢٠٠٦:

١. تقوية الالتزام الحكومي وتعزيز الإمكانيات الضرورية للالتزام بحماية حقوق الأطفال؛
٢. المناداة بتأسيس تشريعات كافية والمحافظة عليها؛
٣. التطرق إلى القناعات والممارسات والعادات الضارّة؛
٤. تشجيع النقاش حول قضايا حماية الأطفال، والتي تتضمن وسائل الإعلام والشركاء في المجتمع المدني؛
٥. تطوير المهارات الحياتية للطفل، والتعليم، والمشاركة؛
٦. بناء إمكانات الأسر والمجتمعات؛
٧. توفير الخدمات الضرورية للحماية، والاستشفاء، والتعليم؛
٨. تأسيس وتنفيذ برامج مستدامة وفعالة للرصد والإبلاغ والمراقبة.

٥- ما أهم استراتيجيات الحماية؟

استناداً إلى ذلك، ينبغي تهيئة بيئة تحمي الأطفال وحقوقهم من خلال اتّباع نهج شامل يتضمن:

- اقتراح تشريعات،
- وبناء قدرات،
- والعمل مع المجتمعات المحلية للتصدي للمواقف الاجتماعية والتقاليد والممارسات التي تهدد حقوق الأطفال.

في ذلك، تُستخدم ثلاث استراتيجيات للاتصال من أجل حماية الأطفال هي:

- أنشطة المناداة (المناصرة)،
- عمليات التغيير الاجتماعي،
- بناء قدرة المجتمعات.

ويمكن اعتبار اليونيسيف مثالاً على النهج المقترح بناءً على تصورها لدورها. في هذا الإطار يجري دعم التدخلات العالمية والوطنية في مجال أنشطة المناداة التي ترمي إلى صياغة أطر قانونية فعالة لمنع العنف والإيذاء والإهمال والتمييز، وتشجيع التدخلات التي ترمي إلى التغيير الاجتماعي وتُشرك الأسر والمجتمعات مباشرة.

ويتمثل التحدي البالغ الأهمية في إشراك الناس والمجتمعات المحلية في تغيير الممارسات الضارة المترسّخة التي ما زالت تلك المجتمعات تعتقد أنها مفيدة للأطفال. فختان الإناث، مثلاً، هو ممارسة تسبب صدمة جسدية وعاطفية ولكنها تُعتبر في عُرف أنصارها "السبيل المشرِّف" الذي به تصبح الفتاة امرأة! بل حتى إن الختان يُربط في بعض المناطق بالالتزامات الدينية. وتعتقد الأسر أن الختان يحمي بناتها ويفيد مستقبلهن. والتزويج المبكر مثال آخر، وهو يمارس في حالات كثيرة كوسيلة لحماية البنات من الفقر المدقع – أو التخلص من أعبائهن المالية أو طمعاً في مكاسب!

٦- إلى أين من هنا؟

إذن، تبقى السياسات والتشريعات المحلية والدولية عاجزة عن تحقيق الأهداف المتوخاة المتعلقة بحماية الطفل، ما لم تقترن بتغيير بعض الذهنيات والعادات والتقاليد الموروثة والسلوكيات. فالمسؤولية مشتركة بين الجميع – المنظمات الدولية والمنظمات المحلية، والقطاع العام والقطاع الخاص، والحكومات والجمعيات الناشطة في مجال الطفولة، والمجتمع المحلي والإعلام... ولا يمكن لأحد أن يتنصل منها.

ويكوّن الحوار مع الأسر والمجتمعات وأصحاب الشأن أمراً بالغ الأهمية من أجل إنجاح برامج حماية الطفل. وتشجع برامج كثيرة، بما فيها برامج اليونيسيف، على تطوير استراتيجيات الاتصال التي تساعد الأسر والمجتمعات على إيجاد بدائل للممارسات التي تنتهك حقوق الأطفال.

إن جمع البيانات عن الواقع يعني الربط بين النقاط لبناء إطار يضم القوانين التي تحمي الأطفال، والمجتمعات التي لم تعد تقبل الممارسات الضارة ضد الأطفال، والحكومات الملتزمة بحماية أكثر الأطفال ضعفاً. "إننا بحاجة إلى البيانات لنتمكن من العمل"، تقول رئيسة قسم حماية الأطفال في اليونيسيف سوزان بيسيل، "وإذا علمنا أن طفلاً واحداً قد تعرض لانتهاك، فإن هذا يكفي للتحرك". وتضيف: "لكن الأهم من ذلك أنه يمكننا أن نتأكد من أن ما نفعله هو الشيء الصحيح في حال كانت أعمالنا تستند إلى أدلة". إلا أنه استناداً إلى البيانات المتاحة فإن بعض التقدم جلي. إذ يلاحظ تقرير "التقدم من أجل الأطفال" مثلاً أنه في بعض البلدان التي ينتشر فيها زواج الأطفال، بدأ يرتفع متوسط عمر الزواج، مع أنه لا يزال أقل من ١٨ سنة من العمر. ويحدد التقرير أيضاً انخفاضاً بطيئاً في تشويه الأعضاء التناسلية للإناث، أو الختان، في البلدان التي تنتشر فيها هذه الإساءة.

ومن الناحية الأخرى، هناك العديد من المناطق التي هي بحاجة إلى جمع بيانات أفضل لتكوين صورة أكثر اكتمالاً عن تحديات حماية الأطفال. ويخلص تقرير "التقدم من أجل الأطفال" إلى الدعوة إلى العمل وحث الحكومات والمشرعين والمجتمعات المحلية، والقطاعين العام والخاص على تهيئة بيئة لحماية الأطفال. "لدينا جدول أعمال واسع في مجال حماية الأطفال، ويدعو الجميع إلى العمل"، تقول السيدة بيسيل، وتضيف: "الشمال والجنوب، الشرق والغرب – جميعنا ملتزمون بجدول الأعمال لحماية الأطفال. لا يوجد بلد بمنأى عن الهموم المتعلقة بحماية الأطفال والانتهاكات التي تحدث لهم".

مراجع:

- دليل حماية الطفل. اليونيسيف. ٢٠٠٦. (تُرجم إلى العربية عام ٢٠٠٨).
- موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر: www.icrc.org
- تقرير "التقدم من أجل الأطفال": www.unicef.oeg/protection/files/Progress_for_Children_No.8_EN_081309(1)
- موقع اليونيسيف: www.unicef.org
- موقع "أطفال خلف القضبان": www.kidsbehindbars.org
- موقع "غوث الأطفال": www.savethechildren.org

نصائح إلى الأهل والمربين والمدرسة:

"حماية الأطفال من المخاطر مسؤوليتنا جميعاً"

زينة حبيش*

العنف جزء من الحياة اليومية للكثير من الأطفال. لا يزال العقاب البدني مسموحاً. يتلقى الطفل الضربات والصفعات، ويتسبب العنف في كدمات بليغة وإذلال. يصل الأمر في بعض الحالات إلى إصابات خطيرة. وكثيراً ما يعمل الأطفال في أشغال شاقة ووسط ظروف صعبة خطرة. يقتل آلاف الأطفال كل عام في النزاعات المسلحة، ويتعرض للتشويه والاغتصاب والتعذيب مئات الآلاف منهم. إن الصمت وعدم اتخاذ مواقف واضحة تجاه العنف ضد الأطفال يسمح له بالاستمرار. أسباب عديدة تفسر إفلات المعتدين من العقاب. فالأطفال الأكثر عرضة للاعتداءات بشكل خاص، يخشون الاعتراف بالعنف الذي يعانون خوفاً من الانتقام. وقد يكونون راغبين في الكلام، فإنْ استطاعوا ذلك فغالباً ما لا تؤخذ شكاواهم على محمل الجد. ونادراً ما يتم التحقيق في جرائم الاعتداء على الأطفال أو تقديم الجناة إلى المحاكمة.

العنف جزء من الحياة اليومية للكثير من الأطفال. لا يزال العقاب البدني مسموحاً. يتلقى الطفل الضربات والصفعات، ويتسبب العنف في كدمات بليغة وإذلال. يصل الأمر في بعض الحالات إلى إصابات خطيرة. وكثيراً ما يعمل الأطفال في أشغال شاقة ووسط ظروف صعبة خطرة. يقتل آلاف الأطفال كل عام في النزاعات المسلحة، ويتعرض للتشويه والاغتصاب والتعذيب مئات الآلاف منهم. إن الصمت وعدم اتخاذ مواقف واضحة تجاه العنف ضد الأطفال يسمح له بالاستمرار. أسباب عديدة تفسر إفلات المعتدين من العقاب. فالأطفال الأكثر عرضة للاعتداءات بشكل خاص، يخشون الاعتراف بالعنف الذي يعانون خوفاً من الانتقام. وقد يكونون راغبين في الكلام، فإنْ استطاعوا ذلك فغالباً ما لا تؤخذ شكاواهم على محمل الجد. ونادراً ما يتم التحقيق في جرائم الاعتداء على الأطفال أو تقديم الجناة إلى المحاكمة.

لكل طفل الحق في العيش في بيئة آمنة، توفر له الحماية والأمان والاحترام، لينمو ويتطور ويعيش طفولته كاملةً، ويصبح في المستقبل راشداً فعالاً في المجتمع. لكن الكثير من الأطفال يفتقر إلى البيئة الآمنة. فالعنف المتنامي في جميع أنحاء العالم، يضع الأطفال أمام مخاطر وتحديات تفوق قدراتهم على التعامل معها، ويهدد سلامتهم ووجودهم، ويسبب المعاناة الجسدية والمعنوية والنفسية.

تأخذ المخاطر أشكالاً مختلفةً نتيجة لعوامل عديدة، قد تتوجه ضد أي طفل في أي مكان، سواء ضمن الأسرة أو في المؤسسات التعليمية والرعائية، في الشارع، أو في البيئة المحيطة، أي في جميع مجالات حياة الأطفال وأماكن تواجدهم. قد تصبح هذه المخاطر أشد تأثيراً على سلامتهم ونمائهم وبقائهم إذا اقترنت بظروف خارجية صعبة، كالكوارث الطبيعية والنزاعات المسلحة وحالات الفقر الشديد.

غالباً ما يواجه الأطفال الاعتداء الإهانة، والعقاب الجسدي، والتعذيب، والعمل القسري والتجويع والعزلة، والسجن، والاعتداء الجنسي وغيرها من المضايقات من قبل الغرباء، لكن، في الكثير من الأحيان، يحدث هذا على أيدي مَن هم مسؤولون عن حمايتهم وتربيتهم.

من الملاحظ أنّ ضعف الأطفال يشتد في البيئات المتدهورة والفقيرة. فالأطفال الذين يعانون الإهمال وسوء المعاملة هم أكثر الفئات عرضةً للمخاطر. ذلك أنّ أولئك الأطفال يعيشون، في غالب الأحيان، في ظروف غير سليمة ويواجهون نقصاً في الحماية والعناية، ولا يستفيدون إلاّ بشكل محدود من الخدمات الضرورية لنمائهم وبناء قدراتهم.

لقد أظهرت الإحصاءات أن معظم هذه المخاطر يمكن تجنبه، في حال تم الاعتماد على إجراءات الأمان الأساسية. الحماية تكمن في التصدي للعوامل المؤدية إلى الانتهاكات بطرق تختلف باختلاف مراحل نماء الطفل وظروف بيئته المحيطة فضلاً عن إدراك الراشدين المخاطر ومعرفة التعامل معها. من هنا أهمية دور ومسؤولية الراشدين في حماية الأطفال.

إن البيئة المجتمعية الآمنة القادرة على تنفيذ برامج الوقاية والحماية وإدارة المخاطر والمناداة بحقوق الطفل، ترتكز <<

* اختصاصية في علم النفس العيادي

<< على التوعية الشاملة المبنية على الوعي بعيداً من الهلع والتخويف.

كيف يمكن للأهل والمربين أن يجنّبوا أطفالهم هذه المخاطر؟

عندما يتم التعرف إلى أنواع المخاطر التي قد تواجه الأطفال، يمكن حمايتهم منها بشكل أسهل. فقد بيّنت عدة دراسات أن الحوادث التي يتعرض لها الأطفال كان يمكن تجنبها لو كان الأهل أكثر وعياً وانتباهاً وحرصاً. كما أن حماية الطفل من الأخطار الخارجية لا تتطلب إلا القليل من الانتباه المتسق من جانب الراشدين. يجب على الأهل التعرف قدر الإمكان إلى المخاطر الخارجية - أي تلك التي تواجههم خارج المنزل - وإجراءات الأمان الأساسية التي تساعدهم على حماية أطفالهم منها.

بعض النصائح المفيدة في إطار الحماية:

- ✓ عدم الإكثار من الممنوعات، فمن شأن ذلك أن يدفع الطفل إلى عدم احترام أي منها.
- ✓ الابتعاد عن الهلع والترويع.
- ✓ عدم مناقشة الممنوعات المرتبطة بحماية الطفل والاكتفاء بتفسيرها بوضوح فقط.
- ✓ الاستفادة من الحالات غير الخطرة لتنبيه الطفل من دون التدخل.
- ✓ تشجيع الطفل على الاستقلالية، لكن من دون التوقف عن مراقبته بتحفظ.

نصائح للأهل

- ✓ تذكروا أن التربية تعني تعليم وتهذيب الطفل وتدريبه على الضبط الذاتي وليس الانتقام منه أو إخضاعه
- ✓ فكّروا: لا تتعاملوا مع الطفل وأنتم غاضبون. تمهّلوا حتى تسكن انفعالاتكم
- ✓ تفحّصوا سلوككم: الاعتداء لا يكون جسدياً فقط بل يمكن أن يظهر عبر الألفاظ وحركات الجسد
- ✓ كونوا هادئين: استخدموا أفعالكم لتبرهنوا للأطفال والكبار كيف يمكن حل النزاعات من دون الحاجة إلى الصراخ والوعيد
- ✓ استوعبوا أسباب سلوك الطفل وتذكروا أن تضعوا أنفسكم مكانه
- ✓ علّموا أنفسكم والآخرين: ساعدوا في تثقيف الآخرين من حولكم وتوعيتهم بشؤون الإهمال والاعتداء وعواقب إساءة معاملة الطفل – اليوم وفي المستقبل.

حماية الأطفال أنفسهم بأنفسهم

قد يتساءل البعض: كيف يمكن للطفل أن يحمي نفسه؟
وهل صغير السن قادر فعلاً على حماية نفسه؟

وهل يمكن أن نساعد الأطفال على أن يحموا أنفسهم من العنف والإساءة من دون تخويفهم من المخاطر، وكيف؟

بعض الناس يعتبر أن مسألة الحماية تستند إلى الاستفاضة بالمعلومات والتخويف من المعتدي، بخاصة من المعتدي "الغريب" الذي لا نعرفه، فيما أظهرت الدراسات أن معظم الأطفال الذين يتعرضون للعنف أو للإساءة يكونون ضحايا شخص يعرفونه، وغالباً ما يكون موضع ثقتهم.

إن تعليم الأطفال كيفية حماية أنفسهم والمحافظة على سلامتهم الشخصية، يبدأ بالاعتراف بمقدرتهم على المشاركة في حماية أنفسهم. المدخل الأساسي لضمان سلامتهم وحقوقهم هو الاعتراف بقدرة الطفل وميزاته والاعتراف به ككيان بحد ذاته، كفرد وطرف يمكنه أن يشارك في تحمل مسؤولية حماية نفسه وضمان سلامته الشخصية.

ولا يمكن تأمين حماية الأطفال من دون تفعيل دور الأب والأم ومقدمي الرعاية الآخرين من حيث إنهم ضامنو سلامة الأطفال من خلال الإشراف ومعرفة والمهارات اللازمة لتفادي الأخطار المحتملة:

- ✓ علموا الطفل إسمه كاملا والعنوان ورقم الهاتف المحمول أو رقم المنزل (أو اجعلوه يحملها إذا كان صغيراً)
- ✓ تأكدوا من أنه يعرف أسماءكم الكاملة
- ✓ تأكدوا من أن الطفل يعرف كيفية الوصول إليكم في العمل أو على الهاتف الخلوي (النقال)
- ✓ احتفظوا بأرقام الهاتف الخاصة بحالات الطوارئ
- ✓ حافظوا على الباب مغلقاً عندما يكون الطفل في المنزل بمفرده، عند الضرورة. دربوه على الرد على الهاتف، إذا وجد
- ✓ درّبوه على اختيار برامج التلفاز المناسبة وأوقاتها وعلى تقصير فترات المشاهدة إلى أقصى حد.

على شبكة الإنترنت:

- ✓ ضعوا قواعد لاستخدام الإنترنت وأوقاتاً محددة
- ✓ ضعوا الحاسوب (الكمبيوتر) في غرفة مشتركة
- ✓ راقبوا المواقع التي يزورها وخصوصاً مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك وغيره) وحلقة أصدقائه
- ✓ معرفة كيفية الوصول إلى شبكة الإنترنت في المدارس، والمكتبات، أو بيوت الأصدقاء
- ✓ شجعوا الطفل على أن يقول لكم كل ما يراه ويسمعه ويختبره على شبكة الإنترنت وخصوصاً كل ما يجعله يشعر بالخطر أو القلق أو الحزن
- ✓ حذروا الطفل من نشر معلومات أو صور تكشف هويته أو هوية وعناوين أصدقائه على الإنترنت ودربوه على ذلك.

تشجيع الصغار على إتباع إرشادات السلامة الصحية من مهام رياض الأطفال والحضانات الأساسية

نصائح للمربين في الحضانة والروضة والمدرسة

يمكن الطفل أن يحافظ على سلامته الشخصية إذا تعلم أن:

- ✓ يتصرف بوعي وثقة ويتنبه إلى ما يدور حوله
- ✓ يتجنب الأفراد الذين يعرضونه إلى الضغوطات والمخاطر وأماكن التعرض للمخاطر
- ✓ يقاوم اللمسات الجسدية المربكة أو غير السليمة ويرفضها
- ✓ يتعلم الثقة وعدم الاحتفاظ بالأسرار التي تشعره بالخوف أو القلق
- ✓ يفصح عن أي إزعاج أو إساءة أو تخويف قد يحاول أي طفل أو شخص أن يمارسه عليه
- ✓ يتعلم ويتدرب على المهارات التي تمكنه من رفض المواقف المزعجة أو التي تضعه أمام المخاطر فيصبح قادراً على أن يرفض بحزم ويقول "لا ... توقّف!"، "هذا يزعجني ..."، "لا أريد أن ..."
- ✓ أن يطلب النجدة من معلم/ة أو راشد قادر على تقديم الدعم
- ✓ ألا يتردد في طلب المساعدة مراراً وتكراراً حتى يتلقى النجدة المطلوبة
- ✓ أن يتعرف إلى مصادر الخطر في المدرسة والملعب وعلى الطريق وكيفية التصرف معها
- ✓ يتعلم كيف يلعب بأمان.

نصائح للأهل والمدرسة

- ✓ ناقشوا بانتظام في اجتماعاتكم المشتركة طرق حماية الطفل في المنزل والطريق والمدرسة
- ✓ تعاونوا على تخفيف حمل حقيبة الكتب لمنع اعوجاج العمود الفقري
- ✓ تعاونوا معاً على أن يحمي الطفل نفسه:
  - أن يتعلم المشي بأمان في الطريق من وإلى المدرسة مع الطفل، ولفت انتباهه إلى أماكن آمنة يلجأ إليها إذا احتاج إلى مساعدة
  - أن يذهب ويعود بصحبة راشد أو طفل أكبر مشياً أو على دراجة
  - أن يبقى دائماً مع مجموعة
  - ألاّ يركب سيارة مع أي أشخاص لا يعرفهم جيداً.
- ✓ عند الانتقال بالحافلة (الباص) أو السيارة من وإلى المدرسة:
  - احرصوا على أن ترافق الحافلة مربية مدربة وسائق مدرب
  - احرصوا على عدم حشر الأطفال.

للجميع معاً: خطة للعمل المشترك

- ✓ حظر جميع أشكال الاعتداء على الأطفال
- ✓ جعل التصريحات العلنية تدين كافة أشكال سوء المعاملة والعنف ضد الأطفال
- ✓ إعداد إطار قانوني يجرّم كافة أشكال الاتصال الجنسي مع الأطفال
- ✓ صياغة سياسات وبرامج على المستوى الوطني
- ✓ إدراج تربية حقوقية وفقاً لشرعة حقوق الطفل تغطي:
  - التوعية والتربية الجنسية
  - المهارات الحياتية
  - حل النزاعات في المناهج المدرسية
- ✓ إنشاء أماكن آمنة للأطفال للتحدث في المدارس، وإفساح المجال إلى متابعة الأسر هؤلاء الأطفال.

إن العنف الذي يشهده الأطفال يستنزف طاقاتهم ويعيق نموهم ويضعهم إما أمام صراع داخلي فيصبحون بالتالي عرضة للاضطرابات النفسية، وإما أن يعيشوا في نزاع مع المجتمع والقوانين فيصبحون مصدر خطر على المجتمع وينتقلون من كونهم في "دائرة الخطر" إلى مصدر خطر يهدد سلامة المجتمع وأمنه.

الحفاظ على سلامة الأطفال: قواعد عامة

- **الإشراف الدائم على الطفل خصوصاً في السنوات الأولى**
- **مرافقة الطفل في الأماكن العامة**
- **الطلب من الطفل عدم الذهاب إلى أماكن معينة وحيداً بل برفقة الأصدقاء أو الكبار**
- **أن يعرف الطفل اسمه بالكامل ومكان سكنه ورقم الهاتف (هاتف المنزل أو الأهل أو أي رقم آخر للطوارئ)**
- **أن يُشرح للطفل وأن يفهم بوضوح مع من يتشارك هذه المعلومات**
- **وجود قواعد أو خطة لسلامة وأمان الطفل في المدرسة والبيت والأماكن الأخرى (كالدرج/السلالم، وسوائل التنظيف والمواقد والكهرباء...الخ)**
- **إعداد سيناريوات "ماذا لو؟.." للحالات التي يكون فيها الطفل مسؤولاً عن نفسه**
- **اعتماد التربية المبنية على مشاركة الطفل والتواصل الفعال بعيداً من أي نوع من الكبت أو العنف**
- **تعريف الطفل إلى مسؤولياته وتوقعاتنا منه**
- **تدريب الأطفال الأكبر على مساعدة وحماية الصغار في البيت والطريق والملعب، وعلى تطبيق شروط المشاهدة الآمنة عند استعمال التلفاز والإنترنت وتحديد البرامج والساعات الملائمة.**

أمثلة على المخاطر والأهداف والبرامج

أهمية الحماية في السنوات الأولى*

يرجع أحد الأسباب لضرورة إيلاء الأطفال الصغار اهتماماً أكبر إلى أنهم غير قادرين على التصرف كما يتصرف المدافعون عن قضيتهم. وعلى الرغم من أن الطفل يُصدر بالتأكيد إشارات دالة على احتياجاته، فإن الأمر يستغرق عدة سنوات قبل أن يتمكن الطفل من التعبير عن نفسه. ونحن نعرف أن السنوات المبكرة ذات تأثير حاسم في تشكيل الذكاء والشخصية والسلوك الاجتماعي، وأن تأثيرات الإهمال المبكر يمكن أن تكون تراكمية.

ثمة أدلة على أن التعرض للتوتر العصبي خلال السنوات الأولى من العمر ينعكس سلباً على أداء الدماغ. فالأطفال الذين عانوا توتراً عصبياً شديداً في سنيهم الأولى، يكونون أكثر عرضة من سواهم للمشكلات المعرفية والسلوكية والعاطفية...لذا يجب وقايتهم وحمايتهم من سوء المعاملة ومن العنف. فسوء معاملة الطفل يجعله يصبح فيما بعد فرداً راشداً حساساً يمكن أن يكرر على الآخرين ما عاناه هو. فالأطفال الذين يتعرضون للاعتداء أو لسوء المعاملة، يميلون إلى أداء هذه الأدوار لاحقاً. كما أن تعرض الأطفال لعنف الحروب أو الكوارث الطبيعية يمكن أن يثير توتراً عصبياً قد ينعكس سلباً على وضعهم النفسي والبيوليجي بعد عدة سنوات. يحتاج الأطفال الذين يعيشون في الظروف الصعبة للغاية إلى اهتمام خاص.

ثمة أشكال متنوعة من "الظروف الصعبة للغاية" التي تهدد الطفل بالتأخر والنقص في النمو:

- الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي تعانيها العائلة والمجتمع المحلي والبلد المعني.
- أوجه الخلل في مستويات خدمات الدعم المتوفرة وتوزيعها.
- هيكل الأسرة (الأسر التي يرأسها طفل، الأسر أحادية الوالدين، وضعف المساندة في إطار العائلة الممتدة).
- صعوبة وصول النساء إلى الموارد.
- الانخفاض النسبي في مستويات التعليم لدى الوالدين أو لدى غيرهما من أفراد الأسرة.
- أطفال يولدون بخصائص تعرضهم مباشرة للخطر (انخفاض في الوزن ما يجعلهم أقل حصانة، كما يجعل استعدادهم للاستجابة لعوامل التحفيز أضعف).

وتتعلق مجموعة أخرى من عوامل المخاطرة، والتي تثير القلق بصورة متزايدة، بالآتي:

- ويلات الحرب والنزاعات الأهلية والعوز، والحرمان، والإهمال وسوء المعاملة، والاستغلال، والصدمات، والآثار العاطفية والجسدية والنفسية والاجتماعية طويلة الأجل وتفكك الأسر والمجتمعات المحلية والتشرد والفقر وانعدام الخدمات الأساسية وتدهور رفاه الأطفال في مناطق النزاعات ونقص في المأكل والمشرب والملجأ وتفكك خدمات الرعاية الصحية والخدمات التعليمية.

أمثلة على المخاطر على مستوى المجتمع المحلي/ الإيكولوجي	أمثلة على المخاطر على المستوى الفردي
• النقص في مجال الإصحاح البيئي • المجاعة • العنف المستوطن • الفقر المستوطن • النقص في الأمن الغذائي • تلوث البيئة وتدهورها • النقص في الخدمات المتاحة: الصحة ورعاية الأطفال والمدارس وباء الإيدز • التمييز ضد شعوب أو جماعات معينة • العائلة كبيرة العدد	• الأمراض المتكررة • سوء التغذية • سوء المعاملة والإهمال • انخفاض دخل الأسرة • سوء صحّة الأطفال والأمهات • ارتفاع معدلات الوفيات عند الرضّع • انخفاض وزن الرضع عند الولادة • ارتفاع معدلات الوفيات عند الأمهات • انخفاض مستوى التعليم لدى الأمهات • الأطفال اليتامى • الفشل في المدرسة والهرب منها • رعاية الأبناء اليافعين لإخوتهم الأصغر سناً • تقارب الأبناء في السن • قلة الوقت المتاح للرعاية

* بتصرف عن دليل "احتساب الطفولة المبكرة" إعداد جوديث إيفانز وروبرت مايرز وإيلين إلفيلد. ورشة الموارد العربية ٢٠٠٥. www.mawared.org

ونظراً للفوارق بين أنواع عوامل الخطر، واختلاف أسبابها واختلاف الأوضاع المعنية، ينبغي القيام بأنشطة خاصة برعاية وتنمية الطفولة المبكرة، واعتماد استراتيجيات لتنفيذ هذه الأنشطة، بحيث تكون ملائمة للسياق المعني. فيمكن على سبيل المثال، اتباع نهوج لمساعدة أطفال يعيشون في مخيمات لاجئين و/أو في ظروف العنف المساح، تختلف عن النهوج المتبعة لتقديم الدعم لأطفال يعيشون في أحياء فقيرة داخل المدن أو يعيشون منعزلين داخل إطار ثقافة أوسع نطاقاً.

يجب أن يكون المستفيدون من المشروع أولئك الذين يعيشون في المحيط القريب من الأطفال الصغار ويتولون رعايتهم (سواء بصورة رسمية أو غير رسمية). يمكن تقديم الدعم للوالدين من خلال العمل مباشرة معهما ومع مقدّمي الرعاية، عبر برامج دعم و/أو تثقيف الوالدين، و/أو من خلال تزويد الأطفال برعاية بديلة في المنزل وفي دور رعاية الطفل خارج المنزل. كما أن الأسر تحتاج إلى دعم المجتمع المدني الواسع. وبالتالي، لا بد من أن يركز أي برنامج في مجال رعاية الطفولة المبكرة من أجل التنمية على واحد أو أكثر من العوامل الآتية:

- زيادة وعي الجمهور باحتياجات الأطفال الصغار، والرعاية المواطنية، عبر وسائل الإعلام أو كجزء من برنامج تثقيفي عام.
- تغيير أو استحداث سياسات وقوانين لتعزيز رعاية الطفولة المبكرة.
- تحسين وضع المؤسسات الاجتماعية المسؤولة عن تنفيذ برامج خاصة بالأطفال.
- تمكين المجتمع المحلي من إيجاد بيئة تساعد على تطوّر القدرات.

مثال: أهداف ومشاريع لحماية الأطفال الصغار من ثلاثة إلى ستة أعوام

الأهداف	الاستراتيجيات / الأنشطة
• الحد من تفشي سوء التغذية الناجم عن الافتقار إلى البروتينات والطاقة والمواد المغذّية الدقيقة • الحد من الإصابة بالأمراض • تعزيز قدرات الأطفال على استيعاب لغة التعبير واستخدامها • زيادة انتفاع الأطفال بالرعاية الجيدة • زيادة فرص الوصول إلى برامج نوعيّة من أجل المرحلة التحضيرية لدخول المدرسة وزيادة عدد الأطفال المشاركين • تعزيز المهارات الاجتماعية للأطفال • تعزيز مهارات مقدّمي الرعاية بغية تلبية احتياجات الأطفال • كشف أنواع الإعاقات التي تضعف مقدرة الطفل على التعلم (إعاقات السمع والنظر) • تأمين السلامة في المجتمع المحلي والبيئة المحيطة	• توفير الغذاء الملائم محلياً وتأمين سبل زيادة الدخل من أجل المرأة • إنهاء التلقيح • تزويد الأبوين ومقدّمي الرعاية للأطفال بالمهارات/ المعارف المناسبة بالنسبة لنمو الطفل وتنميته وحاجته إلى التحفيز • تشجيع الطلب على الرعاية النوعيّة • العمل مع أرباب العمل لكسب دعمهم • العمل مع القطاعين العام والخاص لتمويل برامج ذات نوعية عالية • استحداث فرص لتدريب المعلمين ودعمهم • زيادة عدد المواد التعليمية ومواد اللعب المتاحة للأطفال • توفير الفرص لمقدّمي الرعاية لتعلم أنماط سلوك جديدة وممارستها • توفير وسائل اختبار لكشف الإعاقات في وقت مبكر • إعداد مشروعات للإمداد بالمياه وإنشاء مرافق صحية

حماية الأطفال من تأثير الحروب والنزاعات

أهداف وتقنيات التربية الداعمة

بقلم ريتا مفرج مرهج*

الخبرات التي يمر بها الطفل في سنوات نموه الأولى تحدّد الطبيعة التي سيكون عليها عند البلوغ. وعندما يتعرضّ الأطفال إلى صدمات، فإن حاجاتهم الأساسية، الجسدية والنفسية، تتهدّد إلى درجة أنها قد تزعزع عملية نموهم، فتظهر ردود فعل عديدة ومتنوعّة، تختلف من طفل إلى آخر. ردود الفعل هذه قد تكون مباشرةً إثر الحدث او بعد أيام أو أشهر، وتكون حادّة جداً لدى الأطفال الذين تواجدوا في مكان الحدث أو اختبروا تهديداً مباشراً لحياتهم، أو تعرضوا لإصابة جسدية خطرة، أو فقدوا دعم الكبار في أثناء الحدث. فما هي هذه الآثار وما دور التربية في دعم الأطفال والتخفيف منها؟

في قرننا هذا، يتعرّض أطفال بلدان عربية عدة إلى تراكم من الأحداث غير الاعتيادية والتي تتّسم بالعنف والدموية بسبب الحروب، وليس آخرها المجازر الإسرائيلية الرهيبة التي ارتكبت في غزّة وأعمال القتل الجماعي في العراق. من المعروف أن الطفل أثناء الخطر، أينما كان، يحتمي بأمه وأبيه، أو يلوذ بالفرار نحو بيته ليجد فيه الأمان. لكن الواقع يختلف بالنسبة لهؤلاء الأطفال، وخصوصاً أطفال فلسطين أو لبنان أثناء الحروب الإسرائيلية على الجنوب، الذين يدركون أن حياة أهلهم وأقرب المقرّبين لديهم مستباحة، وأن حرمة بيوتهم منتهكة، فلا مصدر للحماية ولا ملاذ آمن.

لا يمتلك الطفل الصغير القدرات المعرفية الكافية التي تسمح له أن يستوعب الخبرات الصادمة وأن يعطيها معنى مفهوماً. يضاف إلى ذلك عدم قدرته على التعبير الكلامي عن معاناته، ما يؤدي إلى اضطرابات كثيرة في المشاعر والسلوك.

من الطبيعي أن يتأثّر الطفل كثيراً في الأوضاع غير الاعتيادية حين تستحيل تلبية احتياجاته المادية والفيزيولوجية والنفسية بسبب انهماك والديه بالأمور الحياتية الأساسية، وحين يتزعزع النمط الطبيعي لحياته اليومية (كالذهاب إلى المدرسة مثلا)، فيحرم من فرص تعلّم أشياء جديدة ومثيرة. هذا بالإضافة إلى أن مثل هذه الأوضاع تفرض عليه تحمّل مسؤوليات تفوق عمره ومستوى نضجه، وتتجاوز قدرته على التأقلم مع التغيرات المستمرّة الحاصلة في النظم والقيم الاجتماعية المحيطة به. وفي معظم الأحيان، تصل الحال درجة فقدان الطفل الإيمان بأن المستقبل قد يكون أفضل.

اضطراب شدّة ما بعد الصدمة

يعير علماء النفس والاختصاصيون والاجتماعيون أهمية كبرى للاضطرابات النفسية والسلوكية الناجمة عن تعرّض الإنسان لصدمة ما مهما كانت طبيعتها. ولقد جرت دراسة هذه الاضطرابات بصورة منهجية تبعاً لوضوح علاماتها وشيوعها وصولاً إلى وضع تشخيص لها في العام ١٩٨٠، تحت اسم "اضطراب شدّة ما بعد الصدمة"، المعروف بالإنكليزية باسم (Post Traumatic Stress Disorder PTSD)، وهو اضطراب يكون شائعاً بين الناس الذين يتعرّضون إلى أي حادثة صادمة ذات طبيعة تهديدية أو كارثية، تسبّب للإنسان الأسى الشديد والرعب والشعور بالعجز.

تأثير الأحداث الصادمة على الأطفال

الصورة تبدو أكثر تعقيداً عند الأطفال الصغار: فمقارنةً بالشخص الراشد الذي يحاول تفهّم الحدث الصادم من خلال ربطه بعوامل ثقافية ودينيّة لإعطائه معنى معيناً، يبقى استيعاب الطفل للحدث غامضاً لأن البناء المعرفي لديه لم يكتمل بعد، فيجتاح الحدث شخصية الطفل التي لم تنضج بعد ذهنياً ووجدانياً واجتماعياً، ما يؤدّي إلى إعاقة تطوّرها بالشكل السليم.

يقول البعض إن الطفل لديه قدرة كبيرة على التأقلم مع الأحداث ربما تفوق قدرة الكبار، لأن نظام الذاكرة عنده غير ناضج وغير مكتمل ما يسمح له أن ينسى مع الزمن العديد من التفاصيل المؤلمة وأن يستبدلها بذكريات أخرى لا علاقة لها بالحدث الصادم.

لكن ما يجب أن نتذكّره هو أن الطفل في عديد من المجتمعات العربية يعيش وضعاً استثنائياً حيث الخبرات الصادمة متكرّرة ومتصاعدة، وقد تدوم زمناً طويلاً، وحيث المجتمع كله تحت التهديد والخطر ما يجعل مصادر الدعم والمساندة هشّة جداً وقابلة للانعدام في أي لحظة. هذا الوصف ينطبق على الحال المأسوية في قطاع غزة، مثلاً، ما دفع بعض الخبراء إلى اقتراح تسمية "متلازمة غزة " (Gaza Syndrome) لوصف الأعراض النفسية الناتجة من مثل هذه الأوضاع: أن تكرار وتصاعد واستمرارية الأحداث الصادمة في حياة الطفل تنتج مجموعة أعراض تتخطّى الأعراض المعروفة في اضطراب شدّة ما بعد الصدمة، وأهمّها الغضب غير المنصرف حيث يختزن الطفل الغضب والعنف، وكأنه ينتظر لحظة الانتقام. إن هذا الغضب " النائم " يؤذي الطفل إذ يكون في حال توتر مستمر ترافقها اضطرابات في النوم ومشاعر الكره تجاه الغير تُترجم بسلوك عدائي تجاه أي شخص يثير هذه المشاعر (مثلاً، إذا أغضبه صديقه الصغير في أثناء اللعب فقد ينهال عليه بالضرب العنيف).

---

* اختصاصية في علم النفس العيادي. مؤلفة كتاب "دعم الأطفال في ظروف النزاعات والطوارئ". أنظر الإطار.

أعراض اضطراب شدة ما بعد الصدمة

- كوابيس مزعجة ومتكررة ذات علاقة بالحدث الصادم
- ذكريات وأفكار اقتحامية قسرية ومتكرّرة عن الحدث ينتج عنها حالة توّتر شديد
- التخوف من أن الحدث سيعاود الوقوع
- انزعاج انفعالي شديد لأي مثير داخلي أو خارجي يرمز إلى بعض جوانب الحدث، أو يشبهها وتجنّب المثيرات المرتبطة به (أماكن، أشخاص ومواقف) أو الحديث عنه
- التوقّف عن ممارسة النشاطات أو الهوايات التي كان يزاولها الإنسان قبل الحدث
- فتور عاطفي ملحوظ
- الابتعاد عن الآخرين والانعزال
- صعوبات تتعلق بالنوم
- نوبات عصبية مصحوبة بسلوك عدواني
- حذر وحساسية شديدة للمثيرات الحسّية المحيطة وصعوبة بالغة في الاسترخاء
- صعوبة في التركيز على نشاط ما وفي إتمامه
- أفكار انتحارية

ولكي يتم التشخيص بشكل موثوق، يفيد الخبراء أنه يتوجّب ملاحظة هذه الأعراض أو معظمها لمدّة شهر على الأقل وبصورة مستمرة.

الحماية في التربية الداعمة

من المفترض أن تكون التربية هي المكوّن الأولي لكل مبادرات المساعدة الإنسانية أثناء الحروب والكوارث الطبيعية، لأن التربية، من جهة، تحافظ على الحياة، وتنقذ الحياة من جهة أخرى. فمهمّة "المحافظة على الحياة" تتم من خلال تأمين بنية ملائمة واستقرار في الفترات العصيبة، وهي تولّد الأمل في مستقبل أفضل. أما مهمّة "إنقاذ الحياة" فهي مبنية على توفير الحماية المباشرة للأطفال وتشارك المعلومات الأساسية الخاصة بالبقاء مع الأطفال وأهاليهم ومحيطهم.

لسوء الحظ، الكلّ يشهد بأن تعرّض الأولاد للحروب والنزاعات المسلّحة – كما التعرّض للكوارث الطبيعية – يحرمهم من حقهم في المعرفة والتعلم ومن الفرص الهائلة التي توفّرها لهم التربية. لذلك، فإن التربية في حالات الأزمات والطوارئ هي ضرورة ماسّة.

في السنوات الأولى من حياة الإنسان تساهم التربية بنسبة عالية جداً في تأمين نمو سليم، وهي ترتكز على مبدأ توفير محيط يؤمّن استمرارية هذا النمو من جهة، والجودة في الرعاية الصحّية والتربوية والعاطفية والنفسية والروحية من جهة ثانية.

وفعلا، كل الأبحاث تشير إلى أن الاستثمار في السنوات الأولى من حياة الإنسان له تأثير ايجابي على المجتمعات، فالمجتمع يستفيد من الاستثمار في البرامج الرعائية والتنموية من خلال تقليص نسب احتمال الرسوب والتسرّب المدرسي والجنوح واللجوء إلى المخدرات في سنوات المراهقة فضلاً عن المردود الاقتصادي والاجتماعي العام.

في ظروف الحروب والطوارئ، تؤمّن التربية الحماية لأنها توفرّ بيئة لدعم ومساندة الأطفال، ما يفسح المجال أمام أولياء الأمور لتدبير الشؤون الحياتية الخاصة بحالات الطوارئ. والكل يدرك الصعوبة الكبيرة التي يعانيها الأهل في تأمين الاحتياجات العاطفية والاهتمام النفسي لأولادهم. لكن انشغال الأهل يجعل الطفل يشعر بأنه مستبعد أو غير مَحمي، إضافة إلى عواقب أي إهمال فعلي لهذه الجوانب من قبل الأهل بسبب انشغالهم بتأمين الأمور الأولوية مثل المأكل والمأوى والرعاية الصحية... الخ.

في مثل هذه الأوقات، تلعب المدرسة دوراً مهماً جداً في توفير الانتباه والإشراف والترفيه اللازمين خارج الإطار العائلي، كما إن البرامج التربوية تساهم بشكل مباشر في نشر التوعية الصحية والبيئية والأخلاقية التي تحمي الأطفال وتساعدهم على التأقلم العملي في حالات الطوارئ.

فضلاً عن ذلك، فالنظام التربوي، كما استقراره، يمنحان الطفل وعائلته والمجتمع المحيط نوعاً من "القوة الداخلية" وأملاً في المستقبل. إن تأجيل توفير الخدمات التربوية حتى "تنتهي الأزمة" قد يعني للعديد من الأطفال انعدام العودة إلى المدرسة إلى الأبد: لن يتعلموا الكتابة أو القراءة أو الحساب، ولن يلعبوا مثلما يتوجّب على الأطفال الصغار أن يلعبوا ويتعلمّوا الكثير من المهارات الحياتية، بل يتحملون مسؤوليات راشدة تفوق سنوات عمرهم، ما يعيق نوعية تطورهم بشكل سلبي. هؤلاء الأطفال هم عُرضة لمستقبل من الفقر والعنف والجهل.

تقنيـّات فعـّالة

عندما نفكرّ بحماية الأطفال، نركّز عادة على احتياجاتهم المادية (الطعام والشراب والمسكن والدفء والصحة والتعليم)، لكن هناك احتياجات أخرى لا تقل أهمية، هي الاحتياجات النفسية والاجتماعية التي تساعد تلبيتها على تحفيز تفاعلهم الإيجابي مع الآخرين، وتطوير القيم الإيجابية للتمييز بين الصح والخطأ، والتفكير البنّاء والإبداع لتدبير أمورهم وأمور غيرهم بالشكل الصحيح. فالأطفال يحتاجون إلى الأمان والحماية والحنان والتقدير والتقبّل والتفاعل الاجتماعي فضلاً عن حاجتهم إلى المأكل والملبس والمسكن وذلك من أجل نمو شامل ومتكامل.

لذلك فان أي نهج تربوي داعم للأطفال في حالات الطوارئ يجب أن يسمح لهم بمتابعة حياتهم ويمنحهم الشعور <<

أنواع اللعب كثيرة:

- تمثيل الأدوار حيث يتقمّص الطفل دور إحدى الشخصيات البطولية (جندي، شرطي...) ليشعر بالقوة والسيطرة، ما يسمح له بإيصال أفكاره ومشاعره التي يصعب عليه البوح بها علناً.
- اللعب بالدمى: حيث تُستخدم الدمى لإعادة تركيب المشاهد الصادمة وتفاعل الأشخاص معها.
- المغامرات: إن إفساح المجال أمام الطفل لاستكشاف أمكنة أو أنشطة جديدة يساعده على اختبار قدراته واكتساب ثقة في نفسه، ما يحصّنه ويزوّده بالمناعة الضرورية للتأقلم.
- الألعاب الحركية والرياضية تساعد الطفل على السيطرة على جسمه واختبار قدراته الحركية وتحثه على التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، ما يساهم في استعادة توازنه النفسي، إضافة إلى أنها تساعد الأطفال على تصريف طاقتهم وتمنحهم شعوراً بالتحكّم بالموقف والسيطرة.
- ألعاب الخيال: الخيال يمدّ الطفل بطاقات نفسية هائلة تساعده على تحرير مشاعره وتطوير قدراته التعبيرية والعقلية. ويُستخدم الخيال في اللعب، كما في تمثيل الأدوار (أوألعاب "الإدّعاء") حيث يقوم الطفل بتمثيل التجارب المؤلمة التي مرّ بها مستخدماً خياله بكل عفويّة.
- ألعاب التركيز والانتباه: يفقد الكثير من الأولاد تركيزهم بعد تعرضهم لأزمة أو لحدث صادم. من الضروري أن نساعدهم على استعادة قدرتهم على التركيز وذلك من خلال اختيار ألعاب الأحاجي (البازل) على أنواعها، وألعاب الذاكرة، وألعاب التصنيف، وألعاب الحاسوب (الكمبيوتر).

<< بأنهم يستحقّون الحياة، وأن لديهم قيمة وقدرات مميّزة، وأن هناك أملاً في المستقبل.إن مثل هذا الدعم يساعدهم على التكيّف والتأقلم والتعامل مع ظروف الحياة الصعبة بالطريقة الملائمة لنموهم النفسي الاجتماعي.

في أثناء تصميم النهج التربوي وتحديد مكوّناته، من المهم أن نتذكّر أن كل طفل هو فريد ومختلف، ولديه شخصيّته الخاصة به، وطباعه وقدراته وخبراته، وكل ذلك يؤثّر على كيفية تعامله مع الأحداث من حوله. لذلك من الضروري تفهّم كل طفل على حدة والاستماع إليه ومساعدته على بناء "قوىً داخلية" تسمح له بالتكيّف مع الخبرات التي يمر بها.

أهداف التربية الداعمة

ترمي الأهداف إلى دفع نمو الطفل النفسي والاجتماعي إلى الأمام من خلال تخفيف وطأة الحدث الصادم على تطوّر شخصيته وقدراته النفسية والاجتماعية، وأهمّها:

- تلبية حاجة الطفل إلى الشعور بالأمان والسلامة
- تلبية حاجة الطفل إلى فهم ما يجري حوله
- تلبية حاجة الطفل للتعبير عن مشاعره
- بناء القدرة على الاستمرار عند الأطفال الصغار

وسائل داعمة

في أثناء الطوارئ، تستخدم التربية الداعمة وسائل غير تقليدية لمساعدة الطفل على بناء نقاط القوة الداخلية عنده التي تساعده في التعامل مع الأحداث التي يواجهها في حياته. وهي وسائل تستثمر مجموعة من المهارات والكفاءات التي إما تكون موجودة لدى الطفل أو أنه من الممكن أن يكتسبها، فيصبح أكثر تفاعلاً وأكثر تجاوباً، ويكتسب قدرة أكبر على التعامل مع الوضع والسيطرة عليه. أهم هذه الوسائل:

١. **العلاج باللعب**: يعتبر اللعب من أهم أدوات التعافي عند الأطفال الذين يمرون بتجارب صعبة، إذ أنه يساعد على استعادة التوازن ويستطيع الطفل من خلاله أن يحقّق مكاسب وانجازات وأن يعيد الأوضاع المحيطة إلى طبيعتها.
٢. **العلاج بالقصص**: للقصة وظائف علاجية مهمة جداً من حيث الدور الذي تلعبه في تحريك أزمات الطفل الداخلية وقلقه وطموحاته كما في مساعدته على إدراك صعوباته وابتكار الحلول لها.
٣. **العلاج بالموسيقى والرقص**: تعتبر الموسيقى آلية مفيدة للتعبير عن المشاعر، وهي الوسيلة المثلى للتنفيس عن الأحاسيس المكبوتة خاصة عند الأطفال الذين ليس لديهم

العلاج بالرسم يساعد الطفل على التعامل مع الوضع والسيطرة عليه

القدرة على التعبير الكلامي. أما الرقص، فهو يمنح الطفل شعوراً بالتقبّل الذاتي (تقبّل صورة جسده) وتقبّل نظرة الآخرين إليه. وبذلك يتعلم أن يحبّ النظر إلى نفسه (ما يعني ازدياد الثقة في النفس) مثلما يحب أن يكون محطّ أنظار الآخرين. وتشكل الموسيقى والرقص معاً وسيلة قوية لتخفيف التوتّر عند الطفل.

٤. **العلاج بالرسم والتقنيات الإبداعية**: الأطفال الذين لا يستطيعون التحدّث إلى الآخرين عن تجاربهم، يمكنهم أن يعبّروا عنها بواسطة الرسوم. وقد يكون الرسم بحد ذاته وسيلة للارتياح أو لفتح المجال للتواصل مع الآخرين (إيصال بعض الرسائل المهمة التي يصعب على الطفل التكلّم عنها).

٥. **العلاج بالاسترخاء**: إن الخوف والقلق والفزع والأعراض الأخرى الناتجة عن التعرض للضغط والصدمات ترافقها عادة ردود فعل جسدية كالتشنّج وسرعة التنفس وتسارع دقات القلب. ومن المهم جداً التدرب على السيطرة على ردود الفعل هذه إذ إن قدرتنا على التنفّس ببطء والاسترخاء تساعدنا على التخفيف من التأثيرات السلبية للضغط والصدمات.

***

صحيح أن التربية الداعمة في المدرسة تساهم بنسبة عالية في حماية الأطفال من تأثير الحروب وحالات الطوارئ ، لكن لا يجوز أن يحصر هذا الدور الداعم في إطار الصف والنشاطات المدرسية ، بل يجب أن يمتدّ إلى الإطار العائلي حيث يساهم الأهل أيضاً في مساعدة طفلهم على الشعور بأنه قادر على السيطرة على الأوضاع من خلال التحفيز والتشجيع وتأمين البيئة الآمنة كما الأجواء التفاؤلية في المنزل.

للأسف، وبسبب انعدام التواصل بين المدرسة والبيت، فإن معظم الأهالي ليس لديهم أي فكرة عن العمل الداعم الذي يجري في المدرسة لصالح أبنائهم- والطفل إجمالاً لا يُخبر أهله عما يجري في المدرسة.

إن الموارد التي يستطيع الأهل تقديمها لأبنائهم أثناء الظروف الصعبة هائلة ويجب على البرامج النفسية الاجتماعية الداعمة في المدرسة أن تستثمر هذه الموارد المنزلية لمصلحة الطفل من خلال التنسيق الوطيد بين المدرسة والأسرة.

الرسم بحد ذاته وسيلة للارتياح أو لفتح المجال للتواصل مع الآخرين

الحماية في المدرسة

"مدرستي مدرسة السّلامة"

أمل التنير*

الحماية المبكرة ذات تأثير حاسم على تطور الذكاء والشخصية والسلوك الاجتماعي
(من روزنامة جمعية المقاصد/ لبنان: "الصحة في عيون الأبناء")

هناك علاقة وثيقة بين المدرسة والأمن والسّلامة. فمن المهم وجود إطار يمنح المدرسة مستوى معيناً ومناسباً من الأمن والسّلامة، ويوفّر الحماية المطلوبة للمتعلّمين من الكثير من المخاطر. ويوفر الإطار للمدرسين نوعاً من التوجيه والقواعد للعمل بموجبها والمحافظة على المستوى المطلوب من الأمن والسّلامة، والحد من المشاكل التى يمكن أن تقع سواء نتيجة الحوادث أو السّلوكيات. ومن المعروف أنّه وبمجرد دخول المتعلّمين إلى المدرسة تكون الإدارة هي المسؤولة عن توفير الأمن والسّلامة لهم وضمانهما، وضمان أن يكونا من ضمن أولوياتها.

لجنة الأمن والسلامة:

مع بداية كلّ عام مدرسيّ وتنفيذًا للخطط المعدة مسبقًا تعمل كل أجهزة المدرسة على الاستعداد للانطلاق بصورة جيّدة بالعام الجديد. ونحن نعمل جاهدين على توفير الاحتياجات والمستلزمات الماديّة والبشريّة لذلك، كما تُؤلّف لجان ومنها "لجنة الأمن والسّلامة" في المدرسة والّتي تختص بوضع إرشادات وتعليمات وتنفيذ ومتابعة وقيادة، فضلاً عن إدارة الأزمات في حال وقوعها حتى نتمكّن من التوصل إلى أعلى مستوى ممكن من الأمن والسّلامة.

تضمّ هذه اللّجنة: أحد أعضاء الفريق الإداري، وأفراداً من المجتمع المحلّي، وبعض المعلّمين، ومتعلّمين من مختلف المراحل وممثّلاً عن لجنة الأهل. وتقوم هذه اللجنة بوضع الخطط والكشف والمتابعة والتحضير للأنشطة المتنوّعة ومنها:

- عقد سلسلة من اللقاءات هدفها تثقيف المتعلّمين عن مفهوم الأمن والسّلامة المدرسية والسّلامة الصحية وتعريفهم بأهميتها وطرق الوقاية منها وذلك بما يتناسب مع الخصائص العمرية لكلّ مرحلة من المراحل.
- التعاون مع جمعيات المجتمع المحلّي للقيام بأنشطة توعية وتدريب على متطلبات الأمن والسّلامة يشارك فيها المعلّمون والفريق الإداريّ وتهدف إلى التعريف بالخطط الخاصّة بحالات الطوارئ وأرقام الهواتف الضّرورية لذلك.
- تدريب مجموعة من الإداريين والمعلمين والمتعلّمين على القيام بالإسعافات الأولية وتوفير حقائب خاصّة.
- مناقشة مفهوم ومعايير الأمن والسّلامة والصّحة خلال حصص المواد الدراسيّة المختلفة.
- توعية أطفال الروضة والمرحلة الابتدائية على أهميّة الحفاظ على السّلامة في المدرسة من خلال الأنشطة المتنوّعة كتأليف شعارات وتزيينها بالرّسوم ولصقها على لوحات العرض في السّاحات العامّة في المدرسة وحولها.
- وضع إرشادات وملصقات توجّه المتعلّمين وترشدهم للوقاية من الاصابات والحوادث فى أماكن متفرقه من المبنى المدرسيّ كالسلالم والممرات والملاعب وغرف الصّف.
- تأليف أغانٍ وأعمال مسرحيّة تساهم في توعية المتعلّمين على الأخطار الّتي قد تواجههم في المدرسة وسبل الوقاية، وفي نقل هذه الخبرة إلى الأهل والأقران.
- تشجيع المتعلّمين على اتباع إرشادات السّلامة الصّحيّة.
- تزويد المتعلّمين، بنصائح وتوجيهات حول كيفية حمل وترتيب الحقائب المدرسيّة للحفاظ على السّلامة الصّحيّة مع التركيز على متعلّمي مرحلة التّعليم الأساسيّ.
- تدريب المتعلّمين على أساليب حلّ النزاعات بدءًا من مرحلة الطفولة المبكرة وتعريفهم بمهارات التّواصل وتشجيعهم على استخدامها لحل المشكلات الّتي قد تعترضهم في حياتهم اليوميّة.
- تشجيع المتعلّمين على المشاركة في الأنشطة المتنوّعة وخاصّة الرّياضيّة التي تنظّمها المدرسة خلال أوقات الاستراحة للتخفيف من الحوادث.
- إشراك الأهل في الندوات واللقاءات التثقيفيّة والنشاطات المتنوّعة .
- عمل نشرات إرشادية تخدم الأهداف الموضوعة بمشاركة كافة الأشخاص المعنيين.

هذه الأنشطة ساهمت إلى حد كبير بالتّخفيف من الحوادث الّتي كان يتعرّض لها المتعلّمون في مدرستنا. لذا نرى أنّه ومن الضّروري أن تتضمّن المناهج المدرسيّة الرّسمية في مقرّراتها مجموعة من مفاهيم الأمن والسّلامة بما يتناسب مع كلّ مرحلة عمريّة، فيكتسبها المتعلّم وتتحوّل إلى سلوك تطبيقيّ ينعكس بشكل إيجابيّ مستقبلاً عليه وعلى بيئته الأسريّة والمدرسيّة والمجتمعيّة. كل ذلك يساعد المتعلّم لاحقًا على القيام بدوره في نشر الوعي والثقافة من حوله بأهمية الأمن والسّلامة في حياته وحياة محيطه.

* مسؤولة قسم الروضة، كلية خديجة الكبرى/ جمعية المقاصد - بيروت

مشاريع مبتكرة ودروس وتحديات في تربية الطفولة المبكرة وتنميتها: نماذج من البلدان العربية والعالم

إعداد غانم بيبي ورانية الساحلي/ ورشة الموارد العربية

تنسيق د. حجازي إدريس

شهد العقدان الأخيران طفرةً في إطلاق المبادرات المبتكرة في مجال رعاية وتنمية وتربية الطفولة المبكرة ولكن الكثير من هذه المبادرات بقي غير معروف وبقيت عناصر الابتكار فيه بعيدة عن أن تُنقل ويُعاد إنتاجها في مشاريع وتطبيقات متكاملة تعمّ المجتمع كله.عن مثل هذه المبادرات يتحدث هذا الكتيب من أجل تشاركها وفتح النقاش حول دورها وفرص التعلم منها:

يحتوي الفصل الأول لمحات عن ١٠ مبادرات من آسيا وشرق أوروبا وأفريقيا تغطي جوانب مختلفة. جميعها يمكن التعلم منه كاستخدام نهج "من طفل إلى طفل" في الاستعداد للمدرسة، وتدريب المعلمين، ودور الراديو، ودور اللعب، والدمج والقدرات المختلفة، والشراكات...الخ.

الفصل الثاني يحتوي ١٩ مشروعاً من بلدان عربية مختلفة أمكن جمع معلومات عنها في مهلة محدودة من أصل عشرات من النماذج والاستراتيجيات المضيئة التي يجب أن يتاح لها فرص التشارك والتعلم المتبادل.

تسهم جميع المبادرات في تعزيز مفاهيم وإجراءات حماية الأطفال. يُطلب من مكتب اليونيسكو – بيروت، h.idris@unesco.org

الضوابط الإرشادية للصحة العقلية والدعم "النفس-اجتماعي" في حالات الطوارئ

إعداد اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات IASC.

يرى هذا الدليل أن الطفولة المبكرة (٠–٨) أهم فترة في حياة الإنسان للنمو البدني، والمعرفي، والعاطفي، والاجتماعي. وفي خلال هذه الفترة، يحدث نمو كبير للدماغ بشكل سريع. ويعتمد هذا النمو على توفير الحماية الكافية، والتحفيز، والرعاية الفعالة.

في حالات الطوارئ، تعتمد معافاة الأطفال الصغار – إلى حد كبير – على وضع أسرهم، ومجتمعهم. وقد تقوض معافاة هؤلاء الأطفال، إذا كان لديهم أمهات أو مقدمو خدمة مغلوبون على أمرهم، أو منهمكون، أو مكتئبون، أو غير قادرين بدنياً أو عاطفياً على توفير رعاية، ونظام دعم فعال. وقد يحصل الأطفال الذين انفصلوا عن آبائهم على رعاية مؤقتة غير مرضية. وقد يتعرض الآباء والأطفال داخل المجتمع للخطر نتيجة توقف الخدمات الطبية، ونقص التغذية، وغيرها من التهديدات الأمنية.

التدابير الأساسية لحماية صغار الأطفال: منع فصل الأطفال عن أهلهم ولم شمل الأطفال وذويهم، وتيسير رعاية بديلة، ومواصلة الرضاعة الطبيعية، وتيسير اللعب والدعم الاجتماعي والعناية بمقدمي الرعاية.

تحتوي "الضوابط الإرشادية" لدعم الصحة العقلية والمعافاة النفس – اجتماعية في حالات الطوارئ مصفوفة إرشادات في المراحل المبكرة من الطوارئ وفي مرحلة التعافي والاستقرار. وتعتبر المصفوفة أداة قيمة للتنسيق والتعاون والمناصرة.

يحتوي الدليل على قرص مدمج CD–ROM عليه نسخة الكترونية من الضوابط وبعض المراجع الأساسية في الموضوع. يمكن تنزيل الكتاب من الموقع: www.humanitarianinfo.org/iasc

النزاع كتحدٍّ: تعزيز قدرات الأطفال لتحويل النزاعات بشكل بناء - دليل المدرب

تأليف: فلنتينا اوتماشتش

إصدار مركز المعلومات العربي للفنون الشعبية/ الجنى

تقول مؤلفة الدليل في تقديمها الكتاب : "تواجه المجتمعات التي عانت العنف السياسي أو أشكال العنف الأخرى خطراً كبيراً يتمثّل في تسلّل العنف كما لو كان ظاهرة طبيعية تشكل الطريقة الوحيدة لحل المشاكل: "سوف أضرب الصبي الآخر وآخذ الكرة... تماماً كما يضربني والدي... كلا، بالتأكيد لن أناقش هذا الصبي... على أي حال ما نفع النقاش؟"... هذه إجابة أطلقها صبي في التاسعة من عمره من لبنان الشمالي عندما سئل عما يقوم به في حال أراد أن يلعب بالكرة ذاتها التي يلعب بها صبي آخر من رفاق صفه."

"يتعلّم الأطفال عبر مراقبة العالم من حولهم وعبر اكتساب خبرات شخصية. في المجتمعات المنقسمة على ذاتها، حيث تعاني العائلات صدمات العنف وشعوراً دائماً بالتهديد، تنتقل هذه الصدمات في الغالب إلى الأطفال، "نحن على حق وهم مخطئون"؛ "إنهم مذنبون ونحن أبرياء"؛ "هل هؤلاء أعداء أو أصدقاء لنا"؟ هذه بعض اهتمامات الأطفال في عدد من المجتمعات. "إلى أي جهة تنتمي"؟"

يدعونا هذا الكتاب إلى التفكير خارج الثنائيات والأطر المعتادة ويدعو الأطفال والمربين/ المربيات للنظر إلى "أقواس قزح" الأجوبة التي تبدو للوهلة الأولى وكأنها تقتصر على الثنائية: "أبيض وأسود".

"...استلهم هذا الكتاب موضوعه من... التفاعل اليومي وحلقات ورش العمل التي انعقدت في لبنان انطلاقاً م ن سنة ٢٠٠٦" وهو أداة تربوية تعزّز قدرات من يتعامل مع النزاعات بطريقة بناءة. وبنيته وديناميكياته والمهارات الشخصية في تحويل النزاعات بطريقة بناءة، والتعليم والنزاع،

يتوجه الدليل إلى المنشطين والمنشطات كما يتضمن مجموعة من الأنشطة القابلة للتطبيق مع الأطفال.

للمزيد: www.al–jana.org

الحمل والولادة: دورية "همسة وصل" ١١

شبكة "مشاركة"

تغطي مواد العدد الجوانب المختلفة لضمان حمل آمن وولادة سليمة، ما يؤسس لبدايات الحماية عند الطفل. تتنوع المساهمات من إجراءات الفحص أثناء الحمل، إلى حماية الجنين وضمان نموه السليم، إلى شروط الولادة الصحية وأسس الرعاية ما بعد الولادة، وإلى حماية الأطفال من الإصابات في عامهم الأول. يمكن تنزيل المحتويات من الموقع: www.musharaka.org

موارد أخرى مساعدة

- الأطفال شركاء في الصحة: نهج من طفل إلى طفل في البيت والمدرسة والمجتمع. معلومات وأنشطة تطبيقية. ورشة الموارد العربية. www.mawared.org
- الصحة النفسية في النظام القانوني اللبناني: دراسة في التشريعات وآثارها على الأطفال والشباب (الفصل ٢: كيف تتدخل الدولة لحماية الطفل؟). نزار ورنا صاغية. ورشة الموارد العربية. www.mawared.org
- الحماية القانونية للأطفال مواجهة بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية: د. رجاء ناجي. جامعة الملك محمد الخامس. الرابط عن الموقع php ? page= topic & id = 1673 wwwgulfkids.com/ar/print.
- الصغار في الظروف الصعبة والنزاعات. إعداد هيام الزين. ورشة الموارد العربية. www.mawared.org
- Setting our agenda on early learning, violence and physical environment. Early childhood matters. 114. Bernard van Leer Foundation, www.bernardvanleer.org .

دعم الأطفال في ظروف النزاعات والطوارىء: نصوص وتمارين لمعلمات الحضانة والروضة والابتدائى والأهل

إعداد ريتا مفرج مرهج

في صيف ٢٠٠٦ تعرّض لبنان إلى عملية تدمير واسعة طالت معظم المناطق اللبنانية والبنى التحتية، وأدّت، بحسب التقارير الحكومية المحلية، إلى سقوط ١١٨٣ قتيلاً (٣٠٪ منهم دون الثانية عشرة من العمر)، و ٤٠٥٥ جريحاً، ونزوح ما يقلّ عن ٩١٣ ألف إنسان– فضلاً عن بلايين الدولارات من الخسائر الاقتصادية. في ظلّ هذه الأوضاع المأسوية، بادرت ورشة الموارد العربية، من خلال برنامج "رعاية وتنمية الطفولة المبكرة"، إلى تأمين دعم للعاملات والعاملين في الرعاية والخدمات النفسية – الاجتماعية لأطفال المناطق المنكوبة، وبخاصة منطقة جنوب لبنان، وعائلاتهم. كان الهدف من هذا التدخّل السريع مساعدة المعلّمات والأهل، والأطفال عبرهم، على مواجهة تحديات الظروف القائمة، من خلال توفير المعرفة والإرشادات الملائمة لتسهيل عملية تكيّفهم مع الأوضاع الصعبة وتمكينهم من تفهّم احتياجات وردات فعل الأطفال النفسية والاجتماعية. وسعى التدخل أيضاً إلى تزويدهم مجموعة من الإستراتيجيات العمليّة للسيطرة على الأمور داخل الصف وفي المنزل.

لتنفيذ هذه الأهداف، نظمت ورشة الموارد العربية، في شراكة مع "جمعية المبرات"، سلسلة من الدورات تدريبية في الفترة الممتدّة بين أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ وحزيران/ يونيو ٢٠٠٧. انتظمت الدورات في خمس مدارس موزعة على أربع قرى. وقد أعدها وأدارها فريق من صاحبات الخبرة الميدانية والأكاديمية في الصحة النفسية والعمل الاجتماعي وطالت ٢٥٠٠ طفل دون الثامنة و ٦٠٠ أسرة. وجرى توثيق أنشطة الدورات في تقارير استند إليها إعداد هذا الدليل. (أنظر أيضاً مقالة ريتا مرهج في هذا العدد).

يبني هذا الدليل على الخبرة الميدانية في دعم المعلمات والأهل في الميدان بعد الحرب في إطار ما يسمى "التربية الداعمة"، وينطلق من المبدأ الذي يقول إن التربية يجب أن تستمر بغضّ النظر عن توافر أو انعدام الهيكلية الاجتماعية، لأن التربية تحافظ على الحياة وتنقذها من "خلال تأمين هيكلية واستقرار في الفترات العصيبة وتوليد الأمل في مستقبل أفضل". الدليل مُوجّه بالدرجة الأولى إلى حاضنات الأطفال والمربيات ومعلّمات ومعلمي المدارس في صفوف الحضانة والروضة والمرحلة الابتدائية، وبخاصة في المناطق المُعرّضة للنزاعات المسلّحة والحروب كما في المناطق المحرومة اقتصادياً واجتماعياً حيث البؤس والفقر. سوف تجد المعلّمة في هذا الدليل مجموعة غنيّة من التمارين لتطبيقها مع مجموعات الأطفال دون الثامنة لمساعدتهم على التعبير عن مشاعرهم وتحفيز مهاراتهم في التواصل وتعزيز "القوة الداخلية" والتفكير الايجابي. فضلاً عن مجموعة إرشادات عملية مُرفقة بالتمارين المناسبة لإدارة الصعوبات السلوكية وإدارة الصف بناء بيئة صفّية سليمة تحفّز على الاندفاع إلى التعلّم عند الأطفال وترسيخ مفاهيم ومبادئ التربية على حل النزاعات. يسبق هذه التمارين تعريف بأهم الأعراض في الأزمات وأهم النظريات في علم نفس النمو، وشرح عن كيفية تأثّر عملية التفكير والتعلّم والسلوك في دماغ الطفل الصغير بالصدمات، وشرح لتقنيات "التربية الداعمة" وفصل عن مساندة الأطفال ذوي الإعاقة في حالات الطوارئ.

أعدت الدليل الأخصائية في علم النفس العيادي ريتا مفرج مرهج التي استعانت بخبرات عشرات الأشخاص في تحضير الدورات وتنفيذها والتوثيق المفصل الذي أعدته المدربات د. إلهام شعراني ود. إلهام الحاج حسن ود. هيام الزين وزينة حبيش ود. ماجدة مهنا ود. فاديا حطيط وشذى اسماعيل.

يمكن الحصول على نسخ من الدليل من المكتبات أو ورشة العمل العربية (أنظر العنوان ص ٢ من هذا العدد). نصوص الدليل موجودة على موقع "الورشة" ويمكن تنزيلها كاملة من: www.mawared.org

رعاية وتنمية الطفولة المبكرة
Early Childhood Care & Development